٥ دفع ايهام الاضطراب

عن آيات الكتاب

(لفضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المدرس بالجامعة)

سورة الانعام

قوله تعالى: (ثم ردوا الى الله موليهم الحق) .. الآية . هذ الآية الكريمة تدل على ان الله مولى الكافرين ونظيرها قوله تعالى : هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون . وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهى قوله تعالى : ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم . والجواب عن هذا ان معنى كونه مولى الكافرين انه مالكهم المتصرف فيهم بما شاء ومعنى كونه مولى المؤمنين دون الكافرين أى ولاية المحبة والتوفيق والنصر والعلم عندالله تعالى . واما على قول من قال ان الضمير فى قوله ردوا وقوله موليهم عائد الى الملائكة فلا اشكال فى الآية اصلا ولكن الاول أظهر .

قوله تعالى : وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون . هذه الاية الكريمة يفهم منها انه لا اثم على من جالس الخائضين فى آيات الله بالاستهزاء والتكذيب . وقد جاءت آية تدل على ان من جالسهم كان مثلهم فى الاثم وهى قوله تعالى : وقد نزل عليكم فى الكتب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها الى قوله انكم اذاً مثلهم .

اعلم أولا ان فى معنى قوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وجهين للعلماء .

الاول ــ ان المعنى وما على الذين يتقون مجالسة الكفار عند خوضهم فى آيات الله من حساب الكفار من شيء وعلى هذا الوجه فلا اشكال فى الآية أصلا .

الوجه الثاني ــ ان معنى الآية وما على الذين يتقون ما يقع من الكفار فى الخوض فى آيات الله فى مجالستهم لهم من شيء وعلى هذا القول فهذا الترخيص فى مجالسة الكفار للمتقين من المؤمنين كان فى اول الاسلام للضرورة ثم نسخ بقوله تعالى انكم اذاً مثلهم وممن قال بالنسخ فيه مجاهد والسدى وابن جريج وغيرهم كما نقله عنهم ابن كثير فظهر ان لا اشكال على كلا القولين ومعنى قوله تعالى ولكن ذكرى لعلهم يتقون على الوجه الاول انهم اذا اجتنبوا مجالستهم سلموا من الاثم ولكن الامر باتقاء مجالستهم عند الخوض فى الايات لا يسقط وجوب تذكيرهم ووعظهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لعلهم يتقون الله

بسبب ذلك وعلى الوجه الثانى فالمعنى ان الترخيص فى المجالسة لا يسقط التذكير لعلهم يتقون الخوض فيآيات الله بالباطل اذا وقعت منكم الذكرى لهم واما جعل الضمير للمتقين فلا يخفى بعده والعلم عند الله تعالى •

قوله تعالى : وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها • يتوهم منه الجاهل ان انذاره صلى اللهعليه وسلم مخصوص بأم القرى وما يقرب منها دون الاقطار النائية عنها لقوله تعالى ومن حولها ونظيره • قوله تعالى فى سورةالشورى : (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرىومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه الاية • وقد جاءت آيات أخر تصرح بعموم انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الناس كقوله تعالى : تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله تعالى : وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ • وقوله : قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا• وقوله : وما أرسلناك الا كافة للناس) الاية ــ والجواب من وجهين:

الاول : ان المراد بقوله ومن حولها شامل لجميع الارض كما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس • الوجه الثانى : انا لو سلمنا تسليما جدليا ان قوله ومن حولها لا يتناول الا القريب من مكة المكرمة حرسها الله كجزيرة العرب مثلا فان الايات الاخر نصت على العموم كقوله : ليكون للعالمينَنذيرا ، وذكر بعض أفرادالعام بحكم العام لا يخصصه عند عامة العلماء ولم يخالف فيه الا ابو ثور وقد قدمنا ذلك واضحا بأدلته فى سورة المائدة فالاية على هذا القول كقوله :وأنذر عشيرتك الاقربين فانه لا يدل على عدم انذار غيرهم كما هو واضح والعلم عند الله تعالى • قوله تعالى : والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه :ــ وقوله أيضا : والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه • اثبت فى هاتين الايتين التشابه للزيتون والرمان ونفاهعنهما•

والجواب ما قاله قتادة رحمه الله من ان المعنى متشابها ورقها مختلفا طعمها والله تعالى اعلم •

قوله تعالى : لا تدركه الابصار •• الاية • هذه الاية الكريمة توهم انالله تعالى لا يرىبالابصار وقد جاءت آيات أخر تدل على انه يرىبالابصار ،كقوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ، وكقوله : للذين احسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة • والزيادة: النظر الى وجه الله الكريم وكذلك قوله : لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد على احدالقولين ، وكقوله تعالى فى الكفار : كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، يفهم من دليل خطابه ان المؤمنين ليسوا محجوبين عن ربهم • والجواب من ثلاثة أوجه :

الاول : ان المعنى ــ لا تدركه الابصار اى فى الدنيا فلا ينافى الرؤية فى الآخرة • الثانى ــ انه عام مخصوص برؤية المؤمنين له فىالاخرة وهذا قريب فى المعنى من الاول •

الثالث ــ وهو الحق : ان المنفى فى هذه الاية الادراك المشعر بالاحاطة بالكنه ــ أما مطلق الرؤية فلا تدل الاية على نفيه بل هو ثابت بهذه الايات القرآنية والاحاديث الصحيحة واتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك •

وحاصل هذا الجواب ان الادراك أخص من مطلق الرؤية لان الادراك المراد به الاحاطة والعرب تقول رأيت الشيء وما أدركته فمعنى لا تدركه الابصار لا تحيط به كما انه تعالى يعلمه الخلق ولا يحيطون به علما وقد اتفق العقلاء على ان نفى الاخص لا يستلزم نفى الاعم فانتفاء الادراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع ان الله تعالى لا يدرك كنهه على الحقيقة احد من الخلق والدليل على صحة هذا الوجه ما أخرجه الشيخان من حديث أبى موسى مرفوعا « حجابه النور او النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما إنتهى اليه بصره من خلقه » فالحديث صريح فى عدم الرؤية فى الدنيا ويفهم منه عدم امكان الاحاطة مطلقا ٠ والحاصل ان رؤيته تعالى بالابصار جائزة عقلا فى الدنيا والاخرة لان كل موجود يجوز ان يرى عقلا ٠ واما فى الشرع فهى جائزة وواقعة فى الاخرة ممتنعة فى الدنيا ومن اصرح الادلة فى ذلك ما رواه مسلم وابن خزيمة مرفوعا : انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا والاحاديث برؤية المؤمنين له يوم القيامة متواترة والعلم عند الله تعالى ٠

قوله تعالى : (واعرض من المشركين) لا يعارض آيات السيف لانها ناسخة له ٠

قوله تعالى : قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله الاية ٠ هذه الاية الكريمة يفهم منها كون عذاب اهل النار غير باق بقاء لا انقطاع له ابدا ونظيرها قوله تعالى (فأما الذين شقوا ففى النار خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك)٠ وقوله تعالى : لابثين فيها احقابا ٠

وقد جاءت آيات تدل على ان عذابهم لا انقطاع له كقوله خالدين فيها أبدا ٠

والجواب عن هذا من أوجه : احدها ان قوله تعالى : الا ما شاء الله معناه الا من شاء الله عدم خلوده فيها من اهل الكبائر من الموحدين ٠ وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة ان بعض اهل النار يخرجون منها وهم اهل الكبائر من الموحدين ونقل ابن جرير هذا القول عن قتادة والضحاك وابى سنان وخالد بن معدان واختاره ابن جرير وغاية ما فى هذا القول اطلاق ما ورد ونظيره فى القرآن فانكحوا ما طاب لكم من النساء ٠

الثانى ـ ان المدة التى استثناها الله هى المدة التى بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم فى مصيرهم قاله ابن جرير ايضا ٠

الوجه الثالث ـ ان قوله « الا ما شاء الله » فيه اجمال وقد جاءت الايات والاحاديث الصحيحة مصرحة بانهم خالدون فيها ابدا وظاهرها انه خلود لا انقطاع له والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل كما تقرر فى الاصول ٠

ومنها ـ أن الا فى سورة هود بمعنى : سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والارض ٠ وقال بعض العلماء : ان الاستثناء على ظاهره وانه يأتى على النار زمان ليس فيها أحد ٠ وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون احقابا وعن ابن عباس انها تأكلهم بأمر الله قال مقيده عفا الله عنه : الذى يظهر لى والله تعالى اعلم ان هذه النار التى

لا يبقى فيها احد يتعين حملها على الطبقة التى كان فيها عصاة المسلمين كما جزم به البغوى فى تفسيره لانه يحصل به الجمع بين الادلة واعمال الدليلين أولى من الغاء احدهما وقد أطبق العلماء على وجوب الجمع اذا أمكن أما ما يقول كثير من العلماء من الصحابة ومن بعدهم من ان النار تفنى وينقطع العذاب عن أهلها ٠ فالايات القرآنية تقتضى عدم صحته وايضاحه ان المقام لا يخلو من احدى خمس حالات بالتقسيم الصحيح وغيرها راجع اليها :

الاولى ـ أن يقال بفناء النار وان استراحتهم من العذاب بسبب فنائها٠

الثانية ـ أن يقال انهم ماتوا وهى باقية٠ الثالثة : أن يقال انهم أخرجوا منها وهى باقية ٠ الرابعة : أن يقال انهم باقون فيها الا أن العذاب يخف عليهم وذهاب العذاب رأسا واستحالته لذة لم نذكرهما من الاقسام لانا نقيم البرهان على نفى تخفيف العذاب ونفى تخفيفه يلزمه نفى ذهابه واستحالته لذة فاكتفينا به لدلالة نفيه على نفيهما وكل هذه الاقسام الاربعة يدل القرآن على بطلانه ٠

أما فناؤها فقد نص تعالى على عدمه بقوله « كلما خبت زدناهم سعيرا ٠

وقد قال تعالى « الا ما شاء ربك » فى خلود أهل الجنة وخلود أهل النار وبين عدم الانقطاع فى خلود أهل الجنة بقوله عطاء غير مجذوذ وبقوله (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد وقوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وبين عدم الانقطاع فى خلود أهل النار بقوله « كلما خبت زدناهم سعيرا) فمن يقول ان للنار خبوة ليس بعدها زيادة سعير رد عليه بهذه الاية الكريمة ٠ ومعلوم ان (كلما) تقتضى التكرار بتكرر الفعل الذى بعدها ، ونظيرها قوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها الاية » واما موتهم فقد نص تعالى على عدمه بقوله « لا يقضى عليهم فيموتوا» وقوله : « لا يموت فيها ولا يحيى » وقوله « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت» وقد بين صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ان الموت يجاء به يوم القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح واذا ذبح الموت حصل اليقين بانه لا موت كما قال صلى الله عليه وسلم ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت» ٠ واما اخراجهم منها فنص تعالى على عدمه بقوله : « وما هم بخارجين من النار » وبقوله « كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها » وبقوله « وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » ٠

وأما تخفيف العذاب عنهم فنص تعالى على عدمه بقوله « ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور »٠ وقوله « فلن نزيدكم الا عذابا » وقوله « لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون » وقوله « ان عذابها كان غراما » وقوله « فسوف يكون لزاما » وقوله تعالى : «لا يخفف عنهم ولا هم ينظرون» ٠

وقوله «ولهم عذاب مقيم» ولا يخفى ان قوله « لا يخفف عنهم من عذابها وقوله « لايفتر عنهم» كلاهما فعل فى سياق النفى فحرف النفى ينفى المصدر الكامن فى الفعل فهو فى معنى لا تخفيف للعذاب عنهم ولا تفتير له والقول بفنائها يلزمه تخفيف العذاب

وتفتيره المنفيان في هذه الايات بل يلزمه ذهابهما رأسا كما انه يلزمه نفي ملازمة العذاب المنصوص عليها بقوله « فسوف يكون لزاما » وقوله « ان عذابها كان غراما » واقامته النصوص عليها بقوله « ولهم عذاب مقيم » .

فظاهر هذه الآيات عدم فناء النار المصرح به في قوله « كلما خبت زدناهم سعيرا » وما احتج به بعض العلماء من انه لو فرض ان الله اخبر بعدم فنائها ان ذلك لا يمنع فناءها لانه وعيد واخلاف الوعيد من الحسن لا من القبيح وان الله تعالى ذكر انه لا يخلف وعده ولم يذكر انه لا يخلف وعيده وان الشاعر قال :

واني وان أوعدته أو وعدته
لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

فالظاهر عدم صحته لامرين :

الاول ـ انه يلزمه جواز ألا يدخل النار كافر لان الخبر بذلك وعيد واخلافه على هذا القول لا بأس به .

الثاني ـ انه تعالى صرح بحق وعيده على من كذب رسله حيث قال: (كل كذب الرسل فحق وعيد) وقد تقرر في مسلك النص من مسالك العلة ان الفاء من حروف التعليل كقولهم سها فسجد أي سجد لعلة سهوه وسرق فقطعت يده أي لعلة سرقته فقوله كل كذب الرسل فحق وعيد. أي وجب وقوع الوعيد عليهم لعلة تكذيب الرسل ونظيرها قوله تعالى : « ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب»

ومن الادلة الصريحة في ذلك تصريحه تعالى بان قوله لا يبدل فيما أوعد به اهل النار حيث قال : « لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد. ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » ويستأنس لذلك بظاهر قوله تعالى « واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده الى قوله ان وعد الله حق» وقوله «ان عذاب ربك لواقع» فالظاهر ان الوعيد الذى يجوز اخلافه وعيد عصاة المؤمنين لان الله بين ذلك بقوله: « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . فاذا تبين بهذه النصوص بطلان جميع هذه الاقسام تعين القسم الخامس الذى هو خلودهم فيها أبدا بلا انقطاع ولا تخفيف بالتقسيم والسبر الصحيح ولا غرابة في ذلك لان خبثهم الطبيعي دائم لا يزول فكان جزاؤهم دائما لا يزول والدليل على ان خبثهم لا يزول قوله تعالى « لو علم فيهم خيرا لاسمعهم الاية . فقوله خيرا نكرة في سياق الشرط فهي تعم فلو كان فيهم خير ما في وقت ما لعلمه الله وقوله تعالى « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » ، وعودهم بعد معاينة العذاب لا يستغرب بعده عودهم بعد مباشرة العذاب لان رؤية العذاب عيانا كالوقوع فيه لا سيما وقد قال تعالى « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » وقال : «أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » الاية. وعذاب الكفار للاهانة والانتقام لا للتطهير والتمحيص كما أشار له تعالى بقوله « ولا يزكيهم » وبقوله « ولهم عذاب مهين» والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى : « وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء) الاية ، هذا الكلام الذى قالوه بالنظر الى ذاته كلام صدق لا شك فيه لان الله لو شاء لم يشركوا به شيئا ولم يحرموا شيئا مما لم يحرمه كالبحائر والسوائب وقد قال تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقال ولو

شئنا لآتينا كل نفس هداها وقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى واذا كان هذا الكلام الذى قاله الكفار حقا فما وجه تكذيبه تعالى لهم بقوله : « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » ، ونظير هذا الاشكال بعينه فى سورةالزخرف فى قوله تعالى « وقالوا لو شاءالرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون » ·

والجواب ان هذا الكلامالذى قاله الكفار كلامحق أريد به باطل فتكذيب الله لهم واقع على باطلهم الذى قصدوه بهذا الكلام الحق وايضاحه : ان مرادهم انهم لما كان كفرهم وعصيانهم بمشيئة الله وانه لو شاء لمنعهم من ذلك فعدم منعه لهم دليل على رضاه بفعلهم فكذبهم الله فى ذلك مبينا انه لا يرضى بكفرهم كما نص عليهبقوله: ولا يرضى لعباده الكفر فالكفار زعموا ان الارادة الكونية يلزمها الرضى وهو زعم باطل بل الله يريد بارادته الكونية ما لا يرضاه بدليل قوله ختم الله على قلوبهم مع قوله ولا يرضى لعباده الكفر والذى يلازم الرضى حقا انما هو الارادة الشرعية والعلم عند الله تعالى ·

قوله تعالى : « قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم» الاية ·

هذه الاية تدل على ان هذا الذى يتلوه عليهم حرمه ربهم عليهم فيوهم ان معنى قوله ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ان الاحسان بالوالدين وعدم الشرك حرام والواقع خلاف ذلك كما هو ضرورى وفى هذه الاية الكريمةكلام كثيرللعلماء وبحوث ومناقشات كثيرة لا تتسع هذهالعجالة لاستيعابها منها انها صلة كما يأتى ومنهاانها بمعنى أبينه لكملئلا تشركوا ومن أطاع الشيطان مستحلا فهو مشرك بدليل قوله وان أطعتموهمانكم لمشركون · ومنها ــ ان الكلام تم عند قوله حرم ربكم وان قوله عليكم ألا تشركوا : اسم فعل يتعلق بمابعده على انه معموله · منها غير ذلك · واقرب تلك الوجوه عندنا هو ما دل عليه القرآن لان خير ما يفسر به القرآن القرآن وذلك هو ان قوله تعالى (اتل ما حرم ربكم عليكم) مضمن معنى ما وصاكم ربكم به تركا وفعلا وانما قلنا ان القرآن دل على هذا لان الله رفع هذا الاشكال وبين مراده بقوله ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون فيكون المعنى : وصاكم ألا تشركوا ونظيره من كلام العرب قول الراجز :

حج وأوصى بسليمى الا عبدا
ان لا ترى ولا تكلم أحدا

ومن اقربالوجوه بعد هذا وجهان: الاول ان المعنى : يبينه لكم لئلا تشركوا · الثانى : ان أن من قوله : أن لا تشركوا مفسرة للتحريم والقدح فيه بان قوله : وان هذا صراطى مستقيما معطوف عليه وعطفه عليه ينافى التفسير مدفوع بعدم تعيين العطف لاحتمال حذف حرف الجر فيكون المعنى : ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه كما ذهب اليه بعضهم ولكن القول الاول هوالصحيح ان شاء الله تعالى وعليه فلا اشكال فى الاية أصلا ·

سورة الاعراف

قوله تعالى : (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) الاية هذه الاية الكريمة تدل على ان الله يسأل جميع الناس يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقوله : وقفوهم انهم مسؤولون • وقوله : ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله : فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وكقوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون •

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه : الاول وهو أوجهها لدلالة القرآن عليه هو ان السؤال قسمان : سؤال توبيخ وتقريع واداته غالبا « لم » وسؤال استخبار واستعلام وأداته غالبا «هل» فالمثبت هو سؤال التوبيخ والتقريع والمنفي هو سؤال : الاستخبار والاستعلام وجه دلالة القرآن على هذا ان سؤاله لهم المنصوص في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله « وقفوهم انهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون » وقوله أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون وكقوله : ألم يأتكم رسل منكم وكقوله ألم يأتكم نذير الى غير ذلك من الايات وسؤال الله للرسل ماذا أجبتم لتوبيخ الذين كذبوهم كسؤال الموؤودة بأى ذنب قتلت لتوبيخ قاتلها •

ـ الوجه الثاني ـ ان فى القيامة مواقف متعددة ففى بعضها يسألون وفى بعضها لا يسألون • ـ الوجه الثالث ـ هو ما ذكره الحليمى من ان اثبات السؤال محمول على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل وعدم السؤال محمول على ما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه ويدل لهذا قوله تعالى فيقول : ماذا أجبتم المرسلين والعلم عندالله تعالى•

قوله تعالى : قال ما منعك ان لا تسجد اذا امرتك الاية •

فى هذه الاية اشكال بين قوله منعك مع لا النافية لان المناسب فى الظاهر لقوله منعك بحسب ما يسبق الى ذهن السامع لا ما فى نفس الامر هو حذف لا فيقول ما منعك ان تسجد دون الا تسجد وأجيب عن هذا بأجوبة من اقربها هو ما اختاره ابن جرير فى تفسيره وهو ان فى الكلام حذفا دل المقام عليه وعليه فالمعنى : ما منعك من السجود فأحوجك ان لا تسجد اذ أمرتك وهذا الذى اختاره ابن جرير قال ابن كثير انه حسن قوى • ـ ومن أجوبتهم أن لا صلة ويدل له قوله تعالى فى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت الاية • وقد وعدنا فيما مضى انا ان شاء الله نبين القول بزيادة « لا » مع شواهده العربية فى الجمع بين قوله : لا أقسم بهذا

البلد وبين قوله : وهذا البلد الامين٠

قوله تعالى : قل ان الله لا يأمر بالفحشاء هذه الاية الكريمة يتوهم خلاف ما دلت عليه من ظاهر آية أخرى وهي قوله تعالى واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها (الاية) والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه : الاول وهو أظهرها ان معنى قوله أمرنا مترفيها أى بطاعة الله وتصديق الرسل ففسقوا أى بتكذيب الرسل ومعصية الله تعالى فلا اشكال فى الآية أصلا ٠ ـ الثانى ان الامر فى قوله أمرنا مترفيها أمر كونى قدرى لا أمر شرعى ٠ أى قدرنا عليهم الفسق بمشيئتنا ٠ والامر الكونى القدرى كقوله تعالى : كونوا قردة خاسئين انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ٠ والامر فى قوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أمر شرعى دينى فظهر ان الامر المنفى غير الامر المثبت ـ ٠

الوجه الثالث ـ ان معنى أمرنا مترفيها : أى كثرناهم حتى بطروا النعمة ففسقوا ، ويدل لهذا المعنى الحديث الذى أخرجه الامام احمد مرفوعا من حديث سويد بن هبيرة رضى الله عنه : خير مال امرىء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة ، فقوله مأمورة أى كثيرة النسل وهى محل الشاهد٠

قوله تعالى فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم الاية ٠ وامثالها من الايات كقوله : « نسوا الله فنسيهم» وقوله : وكذلك اليوم تنسى ٠ وقوله (وقيل اليوم ننساكم) الاية٠ لا يعارض قوله تعالى لا يضل ربى ولا ينسى ولا قوله (وما كان ربك نسيا) ، لان معنى فاليوم ننساهم ونحوه أى نتركهم فى العذاب محرومين من كل خير والله تعالى اعلم ٠

قوله تعالى : (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) الاية ٠ هذه الاية تدل على شبه العصا بالثعبان وهو لا يطلق الا على الكبير من الحيات وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهى قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان الاية ٠ لان الجان هو الحية الصغيرة ـ والجواب عن هذا انه شبهها بالثعبان فى عظم خلقتها وبالجان فى اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها فهى جامعة بين العظم وخفة الحركة على خلاف العادة ٠